

معانى الكلمات :

بيهتان : بالصاد اللقطاء بالأزواج .

يفترينه : يختلقنه .

لا تتولوا : لا تتخذوا أولياء .

كبر مقتا : عظم بغضا بالغ الغاية .

صفا : صافين أنفسهم أو مصفوفين .

بنيان مرصوص : متلاصق محكم لا فرجة فيه .

زاعوا : مالوا باختيارهم عن الحق .

أزاع الله قلوبهم : حرهم التوفيق لاتباع الحق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على حكم مبايعة النساء للرسول ﷺ، وشروط هذه البيعة .
- ٢ - أن نستشعر تمجيد الكون كله لله - تعالى - وكبر التناقض بين القول والفعل .
- ٣ - أن نعلم بعض المراحل التي مر بها منهج الله للبشرية حتى وصل إلى صورته الأخيرة ، وهي رسالة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ .

المحتوى التربوي :

بيّن الرسول الله ﷺ كيف يبايعهن على الإيمان ، هن وغيرهن ممن يردن الدخول في الإسلام ، وعلى أى الأسس يبايعهن ، وهذه الأسس هي المقومات الكبرى للعقيدة ، كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة ، إنها عدم الشرك بالله إطلاقاً ، وعدم إتيان الحدود ، السرقة والزنا ، وعدم قتل الأولاد ، إشارة إلى ما كان يجري في الجاهلية من وأد البنات ، كما أنه يشمل قتل الأجنة لسبب من الأسباب وهن أمينات على ما في بطونهن ، ولا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن ، والشرط الأخير يشمل الوعد بطاعة الرسول ﷺ في كل ما يأمرهن به ، وهو لا يأمر إلا بمعروف ،

ولكن هذا الشرط ، هو أحد قواعد الدستور في الإسلام ، وهو يقرر أن لا طاعة مطلقة لولى الأمر في كل أمر ، وهى القاعدة التى تجعل قوة التشريع والأمر مستمدة من شريعة الله ، فإذا بايعن على هذه الأسس الشاملة قبلت بيعتهن ، واستغفر لهن الرسول ﷺ عما سلف ، والله يغفر ويرحم ويقيّل العثرات .

وفى الختام يحىء اهتاف للذين آمنوا باسم الإيمان ، وبالصفة التى تميزهم عن سائر الأقوام ؛ إذ تصلهم بالله وتفصلهم عن أعداء الله اليهود والمشركين وكل أعداء الله ، وكلهم غضب عليه الله ، وكلهم يائس من الآخرة ، لا يعلق بها رجاء ، ولا يحسب لها حساباً كيأس الكفار من الموتى أصحاب القبور لاعتقادهم أن أمرهم انتهى ، وما عاد لهم من بعث ولا حساب .

سورة الصف

يحىء التسبيح من الوجود كله الله العزيز الحكيم فى مطلع السورة التى تعلن للمسلمين أن دينهم هو الحلقة الأخيرة فى دين الله ، وأنهم هم الأمانة على هذا الدين الذى يوحد الله ، وينكر على الكافرين المشركين كفرهم وشركهم والذى يدعوهم للجهاد لنصرته ، وقد قدر الله أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فيوحى هذا المطلع أن الأمانة التى يقوم عليها المسلمون هى أمانة الوجود كله .

ثم يعاتب الله الذين آمنوا عتاباً شديداً على أمر حدث من طائفة منهم ، أمر يكرهه الله أشد الكره ، ويمقته أكبر المقت ، ويستفظعه من الذين آمنوا على وجه الخصوص ؛ لأن الكذب ينافى المروءة التى هى من مبادئ الإيمان فضلاً عن كماله ، إذ الإيمان الأصل هو الرجوع إلى الفطرة الأولى ، والدين القيم ، وهى تستلزم أجناس الفضائل بجميع أنواعها ، التى أقل درجاتها العفة المقتضية للمروءة ، والكاذب لا مروءة له ، فلا إيمان له حقيقة ، فالآية تبدأ بعتاب على حادث وقع أو حوادث ، وتثنى باستنكار لهذا الفعل ، وهذا الخلق فى صيغة تضخم استنكار المقت الذى يكبر عند الله ، هو أكبر المقت وأشد البغض وأنكر المنكر ، وهذا غاية فى تفضيع الأمر ، وبخاصة فى ضمير المؤمن ، الذى ينادى بإيمانه ، والذى يناديه ربه الذى آمن به ، والآية الثالثة تشير إلى الموضوع المباشر الذى قالوا فيه ما لم يفعلوا ، وهو الجهاد ، وتقرر ما يحبه الله فيه ويرضاه ، فليس هو مجرد القتال ولكنه هو القتال فى سبيله ، والقتال فى تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف ، والقتال فى ثبات وصمود .

يقول صاحب الظلال : « إن القرآن فى هذا الجزء كان يبنى أمة ، كان يبينها لتقوم على أمانة دينه فى الأرض ومنهجه فى الحياة ، ونظامه فى الناس ، ولم يكن بد أن يبنى نفوسها أفراداً وبينها جماعة ، وبينها عملاً واقعا ، كلها فى آن واحد ، فالمسلم لا يبنى فرداً إلا فى جماعة ، ولا يتصور

الإسلام قائماً إلا في محيط جماعة منظمة ذات ارتباط ، وذات نظام ، وذات هدف جماعى منوط في الوقت ذاته بكل فرد فيها هو إقامة هذا المنهج الإلهي في الضمير وفي العمل مع إقامته في الأرض ، وهو لا يقوم في الأرض إلا في مجتمع يعيش ويتحرك ويعمل وينتج في حدود ذلك المنهج الإلهي ... إن الذين يواجهون الإسلام يواجهونه بقوى جماعية ، ويؤلبون عليه تجمعات ضخمة ، فلا بد لجنود الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفاً ، صفاً سوياً منتظماً ، ذلك أن طبيعة هذا الدين حين يغلب ويهيمن أن يهيمن على جماعة وأن ينشئ مجتمعاً متماسكاً متناسقاً ، فصورة الفرد المنعزل الذي يعبد وحده ، ويجاهد وحده ، ويعيش وحده ، صورة بعيدة عن طبيعة هذا الدين ، وعن مقتضياته في حالة الجهاد ، وفي حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة .

بعدئذ يذكر قصة هذا المنهج الإلهي ومراحلها في الرسالات قبل الإسلام ، وإيذاء بنى إسرائيل لموسى وهو منقذهم من فرعون وملته ، ورسولهم وقائدهم ومعلمهم - إيذاء متطاوّل متعدد الألوان ، وجهاده في تقويم اعوجاجهم جهاد مضمّن عسير شاق ، فيذكرهم موسى لم توصّلوا إلى الأذى بالمخالفة والعصيان لما أمركم به ، وأنتم تعلمون علم اليقين صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ، لما شاهدتم من الآيات البينات ؟ ومقتضى علمكم ذلك تعظيمي وإطاعتي ؛ لأن من عرف الله وعظمته ، عظم رسوله لأن تعظيمه في تعظيم رسوله .

قال ابن كثير : « وفي هذا تسليّة لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم ، وأمر له بالصبر ... وفيه نهى للمؤمنين أن يوصلوا له صلوات الله عليه أذى » .

وتذكر الآية هنا قول موسى لهم في عتاب ومودة ، وهم كانوا يعلمون أنه رسول الله عن يقين وإنما هي لهجة العتاب والتذكير .

وكانت النهاية أنهم زاغوا بعدما بذلت لهم كل أسباب الاستقامة ، فزادهم الله زيغاً ، وأزاع قلوبهم فلم تعد صالحة للهدى ، وضلوا فكتب الله عليهم الضلال أبداً ، فالله لا يهدي القوم الفاسقين ، وبهذا انتهت قواصمهم على دين الله ، فلم يعودوا يصلحون لهذا الأمر ، وهم على هذا الزيغ والضلال ، وخرجوا عن الطاعة ومنهاج الحق ، وأصروا على الغواية ، كما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً :

- ١ - لا طاعة لولى الأمر إلا في المعروف الذى يتفق مع دين الله وشريعته .
- ٢ - المسلم لا يبنى فرداً إلا في جماعة ، والبشرية لا تعيش أفراداً إنما تعيش جماعات وأما .
- ٣ - ضرورة الموالاة للنفس البشرية بالتقوية والتثبيت والتوجيه ، وهى تواجه التكاليف الشاقة .

معانى الكلمات :

مصدقاً : معترفا .

افترى : ادعى .

ليظهره : ليعليه .

تنجيكم : تنقذكم .

مساكن طيبة : قصوراً عظيمة .

الحواريون : أول من آمن بعيسى عليه السلام .

أيدنا : قوينا .

ظاهرين : غالبين .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على موقف بنى إسرائيل من بشارة عيسى عليه السلام .

٢ - أن نستشعر دين الله في ظهور دائم واستعلاء كامل .

٣ - أن نعلم طريق الهدى الموصل إلى النجاة من عذاب الله .

المحتوى التربوي :

يذكر السياق قول عيسى ابن مريم عليه السلام لبني إسرائيل ، فلم يقل لهم إنه الله ، ولا إنه ابن الله ، ولا إنه أقنوم من أقانيم الله ، وإنما هو رسول الله ، والتوراة قد بشرت به ، وهو مصدق ما أخبرت عنه ، وهو مبشر بمن بعده ، وهذه الصيغة التي تصور حلقات الرسالة المترابطة ، يسلم بعضها إلى بعض ، وهى متماسكة فى حقيقتها ، واحدة فى اتجاهها ، ممتدة من السماء إلى الأرض ، حلقة بعد حلقة فى السلسلة الطويلة المتصلة ، وهى الصورة اللاتقة بعمل الله ومنهجه ، فهو منهج واحد فى أصله ، متعدد فى صوره وفق استعداد البشرية وحاجاتها وطاقتها ووفق تجاربها ورصيدها من المعرفة حتى تبلغ مرحلة الرشد العقلى والشعورى .

فتجىء الحلقة الأخيرة فى الصورة الأخيرة كاملة شاملة ، تخاطب العقل الراشد فى ضوء تلك التجارب وتطلق هذا العقل يعمل فى حدوده داخل نطاق المنهج المرسوم للإنسان فى جملته ، المتفق مع طاقاته واستعداداته ، وبشارة المسيح بأحد ثابتة بهذا النص ، وقد قرئ القرآن على اليهود والنصارى فى الجزيرة العربية ، وفيه أنه النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، وأقر بعض المخلصين من علمائهم الذين أسلموا كعب الله بن سلام بهذه الحقيقة التى كانوا يتواصون بتكتمها .

ولقد وقف بنو إسرائيل فى وجه الدين الجديد ، وقفة العداء والكيد والتضليل ، وحاربوه بشتى الوسائل والطرق حرباً شعواء لم تضع أوزارها حتى اليوم ، حاربوه بالانتماء لما ظهر أمره وجاء بالبينات قالوا: هذا سحر مبين، كما قال الذين لا يعرفون الكتب ولا يعرفون البشارة بالدين الجديد ، وحاربوه بالدس والوقعة داخل المعسكر الإسلامى للإيقاع بين المهاجرين والأنصار فى المدينة ، وبين الأوس والخزرج من الأنصار ، وحاربوه بالتآمر مع المنافقين تارة ومع المشركين تارة ، وحاربوه بالانضمام إلى معسكرات المهاجرين كما وقع فى غزوة الأحزاب ، وحاربوه بالإشاعات الباطلة كما جرى فى حديث الإفك، وحاربوه بالكاذب والإسرائيليات التى دسوها فى الحديث وفى السيرة وفى التفسير حين عجزوا عن الوضع والكذب فى القرآن الكريم ، ولم تضع الحرب أوزارها لحظة واحدة حتى اللحظة الحاضرة .

وقد صنعوا - ويصنعون - البطولات المزيفة كلما أرادوا أن يضربوا الإسلام والحركات الإسلامية فى بلد من بلاد المسلمين ؛ ليقيموا مكانه عصبية غير عصبية الدين ، وراية غير راية الدين ، وهذا النص القرآنى يعبر عن حقيقة ، ويرسم فى الوقت ذاته صورة تدعو إلى الرثاء والاستهزاء ، فهى حقيقة أنهم كانوا يقولون بأفواههم إنه سحر مبين ، ويدسون ويكيدون محاولين القضاء على الدين الجديد ، وهى صورة بائسة لهم وهم يحاولون إطفاء نور الله بنفخة من أفواههم وهم الضعاف المهازيل ، ونور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه ، ولا أن تطمسه كذلك النار والحديد فى أيدى العبيد ، وإن خيل للطغاة الجبارين ، وللأبطال المصنوعين على أعين الصليبيين واليهود أنهم بالغوا هذا الهدف البعيد ، لقد جرى قدر الله أن يظهر هذا الدين ، فكان من الختم أن يكون .

وشهادة الله لهذا الدين بأنه الهدى ودين الحق هى الشهادة ، وهى كلمة الفصل التى ليس بعدها زيادة ، ولقد تمت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله ، ظهر فى ذاته كدين ، فما يثبت له دين آخر فى حقيقته وفى طبيعته ، وقد صدق وعد الله مرة ، فظهر هذا الدين قوة وحقيقة ونظام حكم على الدين كله ، فدانت له معظم الرقعة المعمورة فى الأرض ثم زحف زحفاً سلمياً حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا فى إبان الحركات الجهادية الأولى ، وما تزال لهذا الدين أدوار فى تاريخ البشرية يؤديها . ظاهراً بإذن الله على الدين كله تحقيقاً لوعده الله ، الذى لا تنق له جهود العبيد المهازيل .

وفى ظلال قصة العقيدة ، وفى مواجهة وعد الله بالتمكين لهذا الدين الأخير ، يهتف القرآن الكريم بالذين آمنوا ، من كان يواجه ذلك الخطاب ومن يأتى بعدهم من المؤمنين إلى يوم الدين ، يهتف بهم إلى أرباح تجارة فى الدنيا والآخرة تجارة الإيمان بالله والجهاد فى سبيل الله ، ومن ذا الذى لا يشاق لأن يدله الله على هذه التجارة ؟ وسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور ، التى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور ، وهى : إيمان يقينى لا يشوبه أدنى شك ، و جهاد فى سبيل الله بالمال والنفس ، وهذا خير من تجارة الدنيا لو كان هناك علم ، وإن فعل المؤمنون ما أمروا به ، غفرت لهم الزلات ، وأدخلوا الجنات ، والمساكن الطيبات ، والدرجات العاليات فى نعيم مقيم ، وإنه لربح ضخم هائل أن يعطى المؤمن الدنيا ويأخذ الآخرة .

والله سبحانه يعلم أن النفس تضعف وأن الاندفاع يهبط ، وأن الجهد يكل وأن حب السلامة قد يهبط بتلك المشاعر كلها ويقودها إلى الرضا بالواقع الهابط ، ومن ثم يجاهد القرآن النفس هذا الجهاد ، ويعالجها ذلك العلاج ، ويهتف لها بالموحيات والمؤثرات ، ذلك الهتاف المتكرر المتنوع فى شتى المناسبات ، ولا يكلها إلى مجرد الإيمان ، ولا إلى نداء واحد باسم هذا الإيمان ، فها هو ذا يختم السورة بنداء جديد ، يحمل طابعا جديداً ، وموجبا جديداً ، فيأمر عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله فى جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم ، وأن يستجيبوا لله ولرسوله ، كما استجاب الحواريون لعيسى عليه السلام والحواريون هم تلاميذ المسيح عليه السلام ، وهم الذين قاموا بعد رفعه بنشر تعاليمه وحفظ وصاياه .

وفى هذا الموضع الكريم الذى يرفعكم إليه الله ، وهل أرفع من مكان يكون فيه العبد نصيراً للرب ؟ ! إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم ، فانتدبوا لهذا الأمر ونالوا هذا التكريم ، وعيسى جاء ليشر بالنبى الجديد والدين الأخير ، فما أجدر أتباع محمد أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم ، كما انتدب الحواريون للأمر الموقوت ، وماذا كانت العاقبة ؟

ولما بلغ عيسى عليه السلام رسالة ربه إلى قومه ، ووازره من وازره من الحواريين ، اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بما جاءهم به ، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به ، وجحدوا بنوته ، ونصر الذين آمنوا على من عاداهم من فرق النصارى ومعنى «أصبحوا ظاهرين» أى بالحجة والبرهان ، أو أن التوحيد الذى هم عليه هو الذى أظهره الله بهذا الدين الأخير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً:

١ - الكافرون والمشركون فى كل زمان ومكان يحاربون دين الله الحق ، ويسعون لإطفاء نوره ، ولكن الله لن يمكنهم من ذلك .

٢ - التجارة الرباحة هى التى تكون مع الله - تعالى - لأن مكسبها عظيم ومضمون بضمان الله الذى يملك كل شىء .

٣ - استنهاض همه المؤمنين لنصرة الله ونصرة دينه .